علم اللغة النفسي Psycholinguistique
بين الأدبيات اللسانيـة والدراسات النفسيـــة

الأستاذ : عزيز كعواش
قسم الأدب العربي
كلية الآداب و اللغـــات
جامعة محمد خيضر–بسكرة (الجزائر)

ملخص:

إن علم اللغة النفسي الذي جعل من الظاهرة النفسية بكل أبعادها درسا له، يتناول اللغة بوصفها ظاهرة نفسية لها صلات مرتبطة مع تلك العوالم الداخلية للنفس البشرية. فتتقاطع حينها خيوط الدرس النفسي مع تلك اللسانية. وقد يفرز ذلك التقاطع منوالا مركبا ينعت منهجيا في دراساتنا اللغوية الحديثة بعلم اللغة النفسي أو علم النفس اللساني.

Résumé:

La psycholinguistique qui a étudié le phénomène psychique .traite la langue en la décrivant autant qu'un phénomène psychique se ratachant aux dedans de l'âme humaine .
A cet effet les repères de psychologie font intersection avec ceux de la linguistique ce qui résulte une méthode composée décrivant méthodiquement .notre étude linguistique contemporaine avec la psycholinguistique

لقد بات تشابك العلوم وتداخل مجالاتها البحثية سمة الدرس المعرفي الحديث، فالعلوم في اقترابها من حقيقة الظاهرة المدروسة تنفتح أمامها فضاءات أخرى للبحث قد تكون متصلة أو متشابكة مع غيرها، فتزيد وقتئذ إشكالية البحث تشعبا أو غموضا.

وإن الظاهرة الاتصالية اللغوية في البحوث اللسانية المعاصرة، أضحت لا تنفك عن هذه السمة والاستعانة بحقائق المعارف الأخرى التي تتقاطع معها وترتبط بها. ولعل سبب ذلك و محوره ما يذهب إليه اللغويون على الدوام « أن اللسانيات قد أصبحت في حقل البحوث الإنسانية مركز الاستقطاب بلا منازع. فجل العلوم صارت تلتجئ – سواء في مناهج بحثها أو تقدير حصيلتها العلمية– إلى اللسانيات، وإلى ما تقرره من تقريرات علمية وطرائق في البحث والاستخلاص ».[1]

إن الدراسات الإنسانية الحديثة قد تبنت المبادئ اللسانية الغربية حينما انتهجت جميع العلوم الإنسانية في أوربا في نهاية الأمر حقل اللسانيات[2]، وأمست مبادؤها الركائز الأساسية لمجالات المعارف الأخرى. وهي اليوم « موكول لها مقود الحركة التأسيسية، لا من حيث تأصيل المناهج وتنظير طرق إخصابها فحسب، بل من حيث إنها تعكف على دراسة اللسان فتتخذ اللغة مادة لها وموضوعا».[3]

واللسانيات كانت سباقة إلى اتخاذ اللغة كمادة وموضوع للدراسة، وقد حاكتها علوم أخرى في دراسة اللغة كمادة لها أيضا، تتقاطع منهجيا مع اللسانيات في دراسة اللغة[4]، متخذة طرائق ومبادئ لسانية في هذه الدراسة.

ولعل مباحث علم النفس ومجالاته اليوم هي أكثر العلوم تداخلا وتأثرا بمناهج علم الألسنية الحديث. فقد شكلت اللغة حيزا معرفيا نال اهتمام علماء النفس، كونها إحدى مظاهر السلوك الإنساني[5] بل« أولى علماء النفس اهتمامهم زمنا طويلا للظواهر اللسانية، وذلك أنهم عدوها مصادر موثوقا بها للمعلومات في موضوعات متنوعة ذات أهمية بالغة للدراسات النفسية[6].

أما علم اللغة في احتكاكه بعلم النفس، فقد جعل من الظاهرة النفسية بكل أبعادها درسا له، يتناول اللغة بوصفها ظاهرة لها صلات مرتبطة مع تلك العوالم الداخلية للنفس البشرية. فتتقاطع حينها خيوط الدرس النفسي مع تلك اللسانية، إلى حد يصعب فهم الظاهرة الكلامية بمنأى عن الحقل النفسي. وقد يفرز ذلك التقاطع منوالا مركبا ينعت منهجيا في دراساتنا اللغوية الحديثة بعلم اللغة النفسي أو علم النفس اللساني [7]

وعلم **اللسانيات النفسانية Psycholinguistique** [8] واحد من أحدث التخصصات اللسانية في الدرس اللغوي الحديث. بدأت معالمه بالظهور أولا في الولايات المتحدة الأمريكية، ثم شاع وانتشر بين اللغويين الشغوفين بالمجالات والأبحاث النفسية، والذين نظروا بوعي واهتمام إلى ظاهرة الكلام الإنساني وما له من صلات نفسية وعقلية داخل الكيان البشري. ثم تحول هذا التخصص الجديد دارسا وحسب حالة الإنسان أثناء عملية التواصل، فرسمت حدود هذه الدراسة بالنظر إلى الحالات العضوية والنفسية لإنتاج الكلام وإدراكه والمواقف العاطفية والذهنية تجاه حدث من أحداث التواصل.

أما علم النفس، فمجاله كيفية اكتساب اللغة وتعلمها ودراسة السبل التي بها يتم التواصل البشري عن طريق هذه اللغة.[9] فالتعبير النفسي لدى

الإنسان يقوم على أساس نزعات نفسية تختلف من فرد إلى آخر، كما أن السلوك اللفظي يختلف باختلاف نظرة الأفراد للأشياء والمفاهيم،[10] واستجابة الفرد تكون بالنسبة للمعاني التي يراها هو مناسبة لهذا المفهوم أو ذاك. ومن هنا ينشأ الاختلاف في السلوك اللفظي، لأن كل فرد يفكر فيما يراه هو حقيقة الأشياء والموضوعات. وبالرغم من أن هذه المعاني لا تعد في الواقع الحقيقة ذاتها، لأن المعنى الذي يراه الشخص قد يخالف واقعه. ومثال ذلك عبارة " الجو حار"، لا تعبر عن قراءة درجة الحرارة الراهنة كما هي بالفعل، أو كحقيقة علمية. ولما كانت هي حالة الفرد الذي يشعر بها هو ذاته بالنسبة لحرارة الجو فيعبر عنه بمعنى معين.

إن الدراسات اللغوية الحديثة وجهت البحث اللغوي النفسي لدراسة إشكالية اللغة وتعقيدات علم النفس، والعمليات العقلية التي تسبق صدور العبارات اللغوية المنطوقة، وأيضا إلى اكتشاف قوانين عامة لتفسير السلوك الإنساني من خلال ظواهر عامة مثل التعلم والإدراك والقدرات. فصارت أولى اهتمامات هذا العلم؛ دراسة« ما يربط الجهاز العصبي والجهاز النطقي، كما يعمل على كيفية تحويل المتحدث للاستجابة إلى رموز لغوية. فهذه العملية العقلية تفرز عنها إصدار الجهاز الصوتي للغة. وبدوره المتلقي يترجم ويحول هذه الرموز في ذهنه إلى المعنى المراد أو المقصود، وهنا تتم عملية عقلية أخرى [11].

ويعد **فندرس Vanders** في كتاباته اللغوية من الذين انتهجوا التفسير النفسي للظواهر اللغوية بصفة خاصة. وكان يلاحظ التقارب الحاد بين العمليات الكلامية العقلية بتلك الوجدانية النفسية. وانتهى بعد طول دراسة جازما أن كل حدث كلامي يحمل أثرا انفعاليا. فالحدث الكلامي عنده عبارة

عن تعبير خاص ينتج انفعالا معينا، فلا يعطي شخص ما المعلومات ذاتها بطريقة واحدة إطلاقا.[12]

وإلى جانب **فندرس** خاض العديد من الباحثين اللغويين بعد ذلك مجال هذه الدراسة، وطرقوا أبواب البحوث النفسية يشاركون علماءها فيما له صلة بجوانب الكلام. وأخذوا يفصلون مجالات الاهتمام اللغوي عن قضايا البحوث النفسية، ويرسمون الحدود للعلم الجديد، ويستنتجون التعريفات التي أخذت في التميز عما ورد في دراسات علماء النفس الذين تنبهوا أيضا لتلك الجوانب اللغوية ذات الصلة بعوالم النفس. فحظي علم اللغة النفسي بعناية كبيرة من علماء النفس واللغويين معا أو ما يطلق عليهم **النفسولغويون**.

ففي ألمانيا كان **ويلهيلم فونت** (**Wilhelm Vundt**) أول من أسس معملا لعلم النفس عام 1879. و هو أيضا أول عالم نفسي يكتب المقالات الطوال حول سيكولوجية اللغة، لكنها لم تلق العناية الكافية بها من طرف اللغويين، رغم ما تحويه من مناقشات وتفسيرات تفصيلية لجوانب مهمة من السلوك اللغوي.

وكشف **فونت** عن طريق ملاحظات استبطانية عما أطلق عليه التفكير بدون صورة، وهو عبارة عن نوع من السلوك الذاتي الذي يلاحظ في عملية التفكير لا يمكن إدراجه تحت موضوعات علم النفس المعروفة كالإدراك والشعور.[13]

وأثارت فكرة **فونت** بلبلة حادة بين علماء عصره، وكثرت المناقشات الجادة وازدادت شدة واحتكاكا بموضوعات علم النفس. إذ توصلوا معها إلى وجود نزعات معينة واستجابات شعورية واستعدادات خاصة تلعب دورا رئيسيا في التفكير البشري عامة وفي السلوك اللغوي خاصة.

وتجمع **ايفلين ماركوسين EVELYN MARCUSSEN**

عدة جوانب في تعريفها لعلم اللغة النفسي، فتقول أنه:« دراسة اللغةالإنسانية

وفهمها وإنتاجها واكتسابها ».[14] وهذه العمليات يعنى بدراستها علم النفس أيضا، فيمكننا الاستخلاص بأن علم اللغة النفسي عند **ايفلين ماركوسين** يهتم بدراسة اللغة البشرية في نطاق يمليه عليها علم النفس.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فوصل الاهتمام باللغة ومجالات علم النفس ذروته، وظهر عدد من مجلة علم النفس الأمريكي عام 1930 خصص جله لدراسة المشكلات المختلفة في علم اللغة النفسي وفي ظل ثنائية؛ لسان /كلام، ولاسيما ما يختص بمفهوم اللغة والكلام. وهنا كان التنبؤ بلقاء وشيك بين علماء النفس وعلماء اللغة.[15]

وتدعم هذا المنهج بظهور أفكار **واطسن (Watsan)**، مؤسس علم النفس السلوكي. كان الفضل الكبير لهذه الشخصية في بناء علم نفس موضوعي، متخذا من الملاحظة أساسا ومن الاستبطان موقف عداء، مقتديا في ذلك **بأوجست كونت** مؤسس الحركة الوضعية. إذ كان **كونت** يعتقد[16] أن المعلومات التي يحكم عليها بالصدق هي التي تأتي عن طريق الملاحظة الموضوعية، ومن ثمة فإن المعرفة المعتمدة على المنهج الاستبطاني يشوبها الكثير من الأخطاء، كما أبدى كونت إنكاره الشديد للفعل الفردي.

وظل **واطسون** دائم الرفض للبحث داخل العقل سواء عند الحيوان أو عند الإنسان، ولم يقبل حتى مفاهيم " **الشعور**" و " **الدافع**" و " **الرغبة** " وغيرها من المفاهيم العقلية. أما التعريف الذي فضله لعلم النفس فإنه: « فرع

تجريبي بحت من العلوم الطبيعية »[17]؛ فكان هدفه النظري هو التنبؤ بالسلوك والتحكم فيه.

إن سلوكية **واطسون** جاءت موسومة باثنين من العلامات الرئيسية التي تحولت إلى مصطلحات مستعملة؛ المثير والاستجابة، وهي من الألفاظ التي لقيت سعة كبيرة عند واطسون. ومعنى المثير عنده، الحاصل في البيئة على العموم، أو أي تغيير فيها كأن يمنع عن الحيوان الطعام. في حين تعني الاستجابة ما يفعله الحيوان مثل الابتعاد أو الاقتراب من مثير ضوئي، وقد تكون أكثر تعقيدا.

ومن بين ما ميز العطاء الواطسوني الفكري أنه حدد بشكل صريح مسلمات علم النفس، وقد جاء في مقدمتها أن السلوك« مكون من عناصر الاستجابة، ويمكن تحليله بواسطة مناهج البحث العلمي الموضوعي. يليها أن السلوك مكون أساسا من إفرازات غدية وحركات عضلية. ومسلمة أخرى أن هناك استجابة فورية من نوع ما لكل مثير، وحتمية قائمة بينهما- المثير والاستجابة- لتكون المسلمة الأخيرة هي العمليات الشعورية – حتى وإن وجدت- لا يمكن دراستها علميا ».[18]

و **واطسون** لا يعترف بمفهوم الغريزة ومظاهر السلوك التي تبدو غريزية في ظاهرها استجابات متعلمة، كما أنكر الخصائص الوراثية وأكد على إمكان تدريب الطفل أي شيء نريد.[19] ويرى **واطسون** أن السلوك الإنساني ما هو إلا سلوك ديناميكي، وأن العقل لا يعد موضوعا مواتيا لدراسة علم النفس. لأن« أي ملاحظات على العقل تعد ذاتية، وهو يقترح دراسة السلوك الظاهري فحسب والعلاقة بين المثير والاستجابة ».[20]

و بناء على هذا التصور، فإن اللغة بوصفها سلوكا ظاهريا فسرت

على ضوء المذهب السلوكي تفسيرا بسيطا للغاية. فهي عبارة عن مجموعة من ردود الأفعال المشروطة.

وأما العلاقة الفعلية التي نشأت بين علمي اللغة والنفس، أرجعت إلى حامل لواء السلوكية اللغوي الأمريكي **ليونارد بلومفيلد (L.Bloom fielled)**.[21] الذي مزج دراسة اللغة بمعطيات علم النفس، وقد جلا ذلك بصورة واضحة في كتابه الرائد الموسوم بـــ "**مدخل إلى دراسة اللغة**"، وقام بمراجعته وإخراجه تحت عنوان: " **اللغة** " « **Language** » الذي يعد مرجعا مهما في الدرس اللساني الأمريكي.[22] و**بلومفيلد** من المتأثرين بالمنهج السلوكي، وقد انتهى إلى اعتبار "علم النفس السلوكي" الطريقة المثلى والوحيدة التي يمكن من خلالها وعلى ضوئها دراسة الدلالات اللغوية. وعلامة ذلك توقفه أمام الحدث الكلامي، [23]وتأثره بعالم النفس السلوكي **بول ويس (Bol Wiss)** في كتابه " **الأصول النظرية للسلوك الإنساني**". حيث يرى إمكانية وصف السلوك البشري وذلك« بصدد النظر إلى الظواهر الفيزيولوجية وغيرها من الظواهر التي تصحب سلوك الأفراد».[24]ولما كانت اللغة عنده كغيرها من الظواهر الإنسانية التي تندرج تحت مظاهر السلوك، فإنه ما يصدق على دراسة السلوك يصدق عليها هي الأخرى.

ومن الذين ساهموا أيضا في إرساء دعائم علم اللغة النفسي ونشأته بعد بلومفيلد، **سكينر (Skiner)** صاحب الاشتراط الإجرائي من خلال كتابه "**السلوك اللفظي** " ليبلور فيه النظرة السلوكية للغة. [25] ويعد **سكينر** أحد وجوه علم النفس المعاصر، فهو قائد السلوكية لسنوات عديدة في أمريكا بلا منازع. وإن أشد ما اهتم له **سكينر** هو وصف السلوك الذي يمكن إخضاعه

للملاحظة، لذلك فإن النسق الذي يتبعه دوما ينتمي إلى السلوكية الوصفية. وهو يعتقد أن عمل البحث العلمي إقامة علاقات وظيفية بين ظروف المثير المنضبطة تجريبيا وبين استجابة الكائن الحي. وقد أطلق على سلوكية **سكينر** " بأسلوب الكائن الحي الفارغ "، إذ ليس هناك شيء داخل الكائن الحي له فائدة في شرح السلوك، كونه خاضع لقوى العالم الخارجي. وفي هذا يقول[26]: « إن الكائن الحي الإنساني هو عبارة عن آلة ومثله مثل أي آلة أخرى ».

ومما جاء به **سكينر** نظرية الاشتراط الإجرائي "الفعال"، فحينما تعلم كلبا أن يتدرج أو طفلا أن يرقص أو أن يركب دراجة، فإنك تستخدم طريقة الاشتراط الإجرائي؛ ذلك أن ما يمكن فعله غالبا في هذه الحالات هو أن « تستخرج الكلب أو الطفل ليقوم بما تريده أن يقوم به ثم تكافئه بعد ذلك إما بقطعة من العظم أو بقطعة من الحلوى ».[27]

والهدف من هذا الاشتراط هو تعليم الكائن على أن يسلك سلوكا ما، وفيه تكون الاستجابة تبدو وكأنها تلقائية بحيث لا يمكن ردها إلى مثير ملحوظ؛ بمعنى أنه ليس هناك منبه يمكن اعتباره سببا لتلك الاستجابة بالذات.[28]

يشير **سكينر** نفسه إلى مستويين من السلوك اللغوي يرتكز أحدهما على الآخر؛ فالنسق الأعلى يوجه ويغير الأسفل. إلا أنه يرفض تقديم أي اختلاف أو تباين في العمل لكلا النسقين بقوله[29] :« إن المستوى الأعلى يمكن أن يفهم فقط بدلالة علاقاته بالأدنى، وحتى التداول المعقد جدا للتفكير اللفظي يمكن أن يحلل بدلالة السلوك الذي يستدعي evoked أو يعمل في السلوك الآخر للمتكلم ». والسلوك اللفظي في نظره هو سلوك انبعاثي، يتدعم

بالمستمع ثم ينمو طبقا لنفس مبادئ السلوك الإجرائي الآخر، والتدعيم في الاشتراط الإجرائي هو:« أي حدث يمكنه أن يزيد من إهمال صدور الاستجابة التي تنتج هذا الحدث ».[30]

لقد ظل **سكينر** من أبرز المنظرين المرتبطين بالتفسير السلوكي لنمو الكلام واللغة. وهو من طور هذه النظرية وأسقط معطياتها على عملية التعليم.[31] ونظر إلى الكلام باعتباره سلوكا متعلما؛ بل كل السلوكيات المتعلمة عنده تقوم على أساس مبادئ المتعلم أو الاشتراط الإجرائي.[32] والتعلم عند **سكينر** يطلق عليه مصطلح " القوة الإجرائية "، فقد اهتم بملاحظة ما الذي يحدث بعد الاستجابة. في حين الشروط التي تزيد من احتمال التكرار للاستجابة فهي مقياس للقوة الإجرائية.[33]

ومن خلال جهود **سكينر** ونظريته في التعليم، ذهب الدارسون إلى أن علماء النفس الذين درسوا اللغة قد تأثروا بمؤثرين أساسيين هما:« نظرية التعلم ونظرية الاتصال التي تبحث في عملية الاتصال بعامة والاتصال اللغوي بخاصة».[34] وبموجب التأثر بهاتين النظرتين اكتمل تأسيس علم اللسانيات النفسانية[35] .

ومما زاد في بلورة واستقلال علم اللغة النفسي، وأصبح له أدواته العلمية وإجراءاته التطبيقية، ظهور النظرية التوليدية التحويلية على يد **تشومسكي (Chomsky)**[36] من خلال كتابه " **الأبنية النظامية** ". ليفتح بابا أمام النظرة الجديدة للسلوك اللغوي. يقول **ليونز (Lyons)**:« إن لتشومسكي يرجع الفضل أولا وأخيرا في نشأة علم اللغة النفسي».[37]وذلك من خلال

أفكاره ونظرياته الثورية التي وطدت أركان علم اللغة النفسي وأعلت من بنيانه.

والطفرة التي أحدثتها هذه النظرية، أنها وضعت مفهوما للغة يعقد الصلة بين التحليل اللغوي وجوانب معينه في كل من نظريتي التعلم والمعلومات. حيث يرى **تشومسكي**[38]أن نظرية التعلم القائلة بالعلاقة الشرطية بين المثير والاستجابة، لا تصلح لتفسير قدرة المتكلم على استخدام اللغة.

ويرى أيضا من الجانب النفسي المتعلق بعملية اكتساب اللغة لدى الطفل، أن عقل الطفل يحتوي على خصائص فطرية أو ملكة تمنحه القدرة على تعلم اللغة البشرية. وبذلك فهو مهيأ ليكون قواعد لغته من خلال الكلام الذي يسمعه بصورة إبداعية لا تقليد. وهذا يعني أن الطفل قادر على تأليف جمل صحيحة نحوية لم يسمع بها من قبل. [39]

وبهذا فإن **تشومسكي** ينتقد التقليد الذي نادت به النظرية السلوكية والتي استقر عليها الفكر اللغوي من حيث هي التفسير المقبول لعملية الاكتساب.

إن نظرية **تشومسكي** وتحليلاته النفسية ومحاولاته ربط اللغة بالبحوث النفسية وإثارة مناقشات حادة عنيفة، سواء في أصولها النفسية أو العقلية أو في رؤيتها لعملية الاكتساب اللغوي، قد زلزلت فعلا فكرة التقليد، وأصبح من الصعب أن تعد عاملا حاسما في عملية الاكتساب.[40] وذلك لوجود جوانب أساسية في اللغة لا يمكن أن تكون عرضة للملاحظة المباشرة بحيث تخضع للتقليد، مثل المعاني المتصلة بتركيب الجملة وشبه الجملة؛ أي المعاني المجردة للقواعد النحوية والصرفية التي تعد جزءا من القدرة اللغوية عند البالغين.[41]لقد استطاع **تشو مسكي** بنظرته هذه أن ينقل البحث اللغوي

من الاقتصار على الوصف والتحليل دون التفسير، إلى محاولة تفسير الظواهر والتفرقة بين القدرة اللغوية والأداء، واهتم أتباع هذا الاتجاه بدراسة العقل البشري ودوره في العملية اللغوية لمحاولة تفسير الظواهر اللغوية.[42]

مجالات البحث اللغوي النفسي من خلال السلوك اللغوي:

إن تحديد العوامل النفسية التي تؤثر وتغير في الأداء اللغوي، أو التي تقع خلف الكفاءة اللغوية بالاصطلاح التشومسكي، هو الموضوع الرئيس لهذا العلم. فالعلاقة بين اللغة والنفس البشرية، أو بين اللغة والعقل البشري، هي الاهتمام الأساس أو العام لعلم اللغة النفسي.[43]

فاهتمام علم اللغة النفسي واقع على عملية الكلام ككل، بما فيها نية الإبلاغ لدى المتكلم، وما يتبعها من عملية الترميز المرسلة التي تتفق وأهداف المتكلم وتتماشى مع مقاصده، لينتهي عند عملية الالتقاط – الرموز–، ومحاولة تحليلها وفهمها من قبل المستمع.[44]

وإذا كان علم اللغة يختص بدراسة المستوى الصوتي وإصدار الكلام أو بالأحرى الصوت، وذلك بانطلاق الهواء من الرئتين بضغط من الحجاب الحاجز، ومرورا بالقصبة الهوائية والحنجرة والحلق والفم انتهاء بالشفتين، ومن ثمة انتقال هذا الصوت إلى المستمع بهذه الموجات والعمليات السمعية التي تجعله قادرا على التقاط الصوت عبر الهواء. فعلم اللغة النفسي يبحث في العمليات العقلية التي يقوم بها المستقبل للكلام بفك شفرة الرموز الصوتية لغاية فهم المقصود وإدراكه، والبحث عن القدرة التي يمتلكها المتكلم والسامع على إنتاج اللغة وفهمها. وذلك عن طريق امتلاكه لمجموعة من الاستعدادات

والقواعد النحوية، والتي تمكنه من إنتاج عدد لا نهائي من الجمل، وهو ما يمثل جوهر النظرية التشومسكية التوليدية.[45]

إن تحديد اهتمامات علم اللغة النفسي ومجالات البحث فيه، إنما يكون بالنظر إلى المشكلات التي يطرحها والحلول التي يقترحها لهذه المشكلات، أو من خلال الإجابات التي تشغل بال الباحثين. وقد تصور هؤلاء تساؤلات كثيرة تصب في هذا الاهتمام، ويمكننا عرضها كما يلي:

ــ ما العمليات العقلية التي يتمكن بها الناس من قول ما يريدون قوله. أي كيف يستطيع الفرد استخدام معرفته اللغوية حين إنتاج الكلام وفهمه؟. وهذا يرتبط بالوظيفة التي تؤديها اللغة حين نتكلم ونسمع ونقرأ ونكتب، وربما حين نفكر. وما العمليات العقلية التي يتمكن بها الناس من إدراك وفهم ما يسمعونه، أي إدراك الكلام ؟ [46]

ــ وكيف يمكن للفرد اكتساب المعرفة اللغوية والقدرة التي تمكنه من استخدامها. ؟[47] ويعود اهتمام اللسانيات النفسية بظاهرة اكتساب اللغة إلى تأثرها بنظرية القواعد التوليدية لتشومسكي، والذي يرى أن الأطفال يولدون وهم مزودون بقدرة فطرية للمبادئ الصورية التي تحدد التراكيب النحوية في جميع اللغات. هذه القدرة الفطرية أو(المعرفة النظرية) هي عماد اكتساب اللغة وسرعتها لديهم.[48]وفي هذا السياق يسعى علم اللغة النفسي إلى« دراسة المؤثرات النفسية التي تعصف بهذا الاكتساب سلبا وإيجابا، وكذلك الوقوف على المهارات العقلية»،[49]وأيضا يهدف إلى «دراسة العلاقة بين اللغة والفكر». و أيضا عملية الاكتساب و« كيفية فهم الجمل والكلمات وسرعة الفهم وخطوات الفهم وعوامل صعوبة الفهم ».[50]

– التعرف على تركيب الذاكرة من الناحية اللغوية، وطبيعة التذكر وعملية اختزان الألفاظ والمفردات في الذاكرة، وهو ما يطلق عليه اسم " المعجم الذهني". و أيضا التعرف على« أسلوب استدعاء المخزون اللغوي من الذاكرة »[51]، ومنه كيف تتم عملية اختيار المتكلم للمفردات التي يحتاجها للتعبير عن أفكاره وتوصيلها إلى الطرف الآخر بطريقة تؤدي إلى فهمها في سهولة ويسر؟ وكيف يمكن للمستمع أن يحلل الأصوات التي يلتقطها إلى وحدات حتى يمكنه التوصل إلى المعنى أو المعاني التي يريدها المتكلم؟ فمجال علم اللغة النفسي إذن دراسة العمليات العقلية عند المتحدث قبل صدور اللغة وعند صدور اللغة من قبل المتكلم، ويدرس الاكتساب والإدراك لديه وفق المستويات الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي.[52]

إن عمليات الاستدعاء تقع في بؤرة اهتمامات الدراسات النفسولغوية حيث تخضع إلى اختبارات خاصة. ومثال ذلك أن يعطي المتكلم كلمة ما، وتصاغ غالبا بدون أن يكون لها معنى معجمي. ولكنها تستدعى إلى العقل عن طريق بنيتها النحوية مفردات موجودة في لغة يعينها، ثم يطلب من المتكلم أو الشخص المجرى عليه الاختبار أن يجيب سريعا بأول كلمة تخطر على باله،[53] مع الأخذ بعين الاعتبار الخلفية الاجتماعية والثقافية لهذا الشخص. لأن الانعكاس الإستدعائي محكوم إلى حد كبير بهما. ثم تصنف نتائج الاختبار عن طريق استخدام طرق إحصائية. وعلى أساس هذه النتائج تبذل جهود لمحاولة التوصل إلى القوانين الحاكمة في عملية الاستدعاء.[54]فعندما تعطى شخصا ما كلمة حتى وإن لم يكن لديها معنى مفهوم، ويطلب منه أن يتلفظ بكلمة مشابهة لها، فإنه يقوم بعملية عقلية

تستدعي من مخزونه اللغوي الذهني كلمة مشابهة لها. ويسعى العلماء في ذلك إلى فهم الآليات المتحكمة في عملية الاستدعاء لهذه الكلمة المشابهة بالضبط وليس لسواها، وفي طول عملية الاستدعاء للألفاظ تراقب وتلاحظ عن طريق اللغة المنطوقة التي أرست اللسانيات مبادئ دراستها.

– محاولة التعرف عن كثب « على قدرة الطفل على اكتساب اللغة؛ متى وكيف؟».[55]وما الطريق الذي يتبعه الأطفال في تعلم كيفية إنتاج اللغة وفهمها في المراحل العمرية المبكرة؟[56] ويبدأ ذلك بالتعرف على اكتسابه للمفردات، وطريقة بناء الكلمة وتكوين الجملة، والعلاقة بين النمو اللغوي للطفل ونموه الإدراكي.

– دراسة أمراض اللغة واضطرابات النطق وعيوب الكلام، مثل: تأخر الكلام، واحتباس الكلام، وصعوبة القراءة، والتأتأة، واللعثمة، واللجلجة،[57]والخمخمة أو ما يسمى بالخنف« وهو صعوبة في نطق أصوات اللغة خاصة صوتي الميم والنون».[58]وغير ذلك من الظواهر ذات الصلة باللغة المنطوقة والتي تؤدي إلى عدم البيان وهو ضد الفصاحة، وتؤدي إلى " اللحن" بكل جوانبه الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

– كشف العلاقة بين اللغة والأمراض النفسية الذي يندرج تحته ما يسمى " التخلف العقلي" الذي يؤدي إلى بعض الأمراض اللغوية. ويظهر ذلك في تأويل الكلام على غير ما يفهم عامة الناس، والهذيان والهلوسة السمعية وغيرها[59]

– دراسة ما يسمى " باللغة الانفعالية "، وذلك بتحليل الأنماط اللغوية وما تحمله من معنى "تفسير انفعالي" الذي هو غير المعنى العلمي

الاصطلاحي العام للكلمة في المعجم. و ذلك لأن الكثير من ألفاظنا إنما هي مشحونة بمعاني نفسية انفعالية، عكس خبرات الفرد الخاصة والجماعية، وهذا هو التمايز الدلالي للكلمات. وتدرس اللسانيات النفسية هنا أيضا اختلاف نسبة العاطفة بين الأشخاص وذلك عن طريق ملاحظة التعبيرات اللغوية لديهم. فمثلا« التعبيرات التي هي تعاطف متدفق في مجتمع ريفي بسيط ربما تبدو أحيانا لإنسان المدينة المعقد نوعا من الجلافة ».[60] ويرى علماء اللسانيات النفسية أن نوع الاتصال لدى الفرد يبرز شخصيته.

ــ و ثمة مجال آخر من مجالات اللسانيات النفسية وهو« كيفية تعلم اللغة الأجنبية، حيث سعى علماؤها إلى تأسيس نظرية لتعليم اللغات الأجنبية. أي كيف يمكن لتعليم اللغات أن يكون أكثر سهولة وسرعة وفاعلية ».[61]

ــ وفي هذا المضمار تجدر الإشارة إلى جانب **الدلالة اللغوية** الذي يحتل موضعا هاما في علم اللغة، والذي يأخذ الموضع ذاته في علم اللغة النفسي لأنه يعالج الجانب الذاتي للغة. وفي مجال علم النفس يهتم علماؤه بالإدراك، وحيث كان الإدراك ظاهرة فردية فقد طوروا وسائل دراستهم ليعرفوا مدى الاختلاف بين الناس في إدراكهم للكلمات أو تحديد ملامحها الدلالية.

إن العلاقة التي قامت بين علم الدلالة وعلم اللغة النفسي، كانت بداية بالتفرقة بين ما يعرف تحت اسم المضمون المنطقي والمضمون النفسي. حيث الأول هو ما حملته القواميس على الأغلب، وفهمه واحد بين الأفراد وإن لم يكن كذلك فهو متقارب. في حين الثاني – المضمون النفسي– شديد التباين بين المتكلمين؛ لكن هذا لا يمنع وجود اشتراك بينهم – الناطقين– في

كثير من دلالاته التي قد تحملها الكلمة الواحدة مع وجوب الإشارة إلى أن كلا منهما مرتبط بالآخر.[62] ذلك أن الكلمة حينما تصدر فإنها تكون مشبعة بكليهما "المنطقي والنفسي". وعلى سبيل التمثيل لفظة "الأهرام" التي تفهم عند الغالبية إن لم تكن عند الجميع على أنها تلك الأبنية الشامخة التي بناها الفراعنة في" الجيزة " من زمن سحيق، وعليه فهي معان شبه مشتركة متداولة.[63]

لكن قد ينفرد شخص ما بتجربة مرّ بها كانت على صلة بتلك "الأهرام"، فيشير سماعه لهذه اللفظة بتلك المتعة مثلا التي أحسها عند زيارته لها وهو طفل مع والده مثلا. لكن قد تثير في نفس آخر الحزن والأسى لأنها تذكره بحادث أليم واجهه عند زيارته لها.[64] إذن الخلافات الفردية في تجربة الملفوظات تظهر فروقا في المعاني المستدعاة.

إذن من خلال هذه التشابكات بين الأسئلة وإجاباتها حول اهتمامات علم اللغة النفسي ومجالاته وميادينه، يمكننا استخلاص تعريف دقيق له، فهو العلم الذي« يبحث في ظواهر اللغة ونظرياتها، مستخدما أحد مناهج علم النفس ».[65]

الهوامش و المراجع

1 ــ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية. ص9 .نقلا عن رابح بوحوش، اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري. عنابة: دار العلوم للنشر والتوزيع. ص14.

2 ــ ينظر سعد مصلوح، الأسلوب دراسة لغوية إحصائية. ط:3. القاهرة: عالم الكتب، 2002. ص11.

3 ــ المرجع نفسه .

4 ــ ينظر: نور الهدى لونش، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. الإسكندرية ــ الازاريطة: المكتبة الجامعية، 2001. ص159.

5 ــ ينظر: عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي وفقه العربية. ط:1. الأردن : دار أسامة، 2007. ص 90، 32.

6 ــ ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني. ترجمة: سعيد عبد العزيز مصلوح، وفاء كامل فايد. ط:2. الجزائر: المجلس الأعلى للثقافة،2000.ص309.

7 ــ ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات ــ مبحث صوتي، مبحث دلالي، مبحث تركيب ــ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994. ص 23.

8 ــ وقد أطلق على مصطلح علم النفس اللغوي بالإنجليزية (Psychologicol linguistics)، ويسمى أحيانا (psychology of language). أما علم اللغة النفسي فعرف باسم مصطلح

(Psycholinguistics). حيث الأول يكون فيه الباحث من المشتغلين بدراسات علم النفس ويستعين بما في "علم اللغة " ليوجه المشكلات التي تتقاطع مع الدرس اللغوي، أما المصطلح الثاني فللمهتمين بالدراسات اللغوية ويلجأ فيه اللسانيون إلى معطيات "علم النفس " في تجاوز العوائق التي يتعرضون لها في أبحاثهم. (سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي. الاسكندرية – الأزاريطة: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، 2003. ص 180.)

9 ــ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة. ط:5. القاهرة: عالم الكتاب، 1988. ص 10.

10 ــ ينظر كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة. ط:3. القاهرة: دار الرشاد، 2001. ص 72.

11 ــ صالح بلعيد، دروس في اللسانيات التطبيقية. الجزائر– بو زريعة: دار هومة للطباعة والنشر، 2003. ص 16– 17.

12 ــ ينظر: مليكا ايفيتش، اتجاهات البحث اللساني. ص 132.

13 ــ ينظر: حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية، القاهرة: دار المعرفة. ص 94.

14 ــ جلال شمس الدين، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم اللغة النفسي. الإسكندرية ــ الازاريطة: مطبعة الانتصار للطباعة والنشر، 2003. ص 441.

15 ــ المرجع نفسه. ص 95.

16 ــ ينظر: جلال شمس الدين، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم النفس اللغوي. ص 30.

17 ــ المرجع نفسه. وينظر أيضا: محمد شحاته ربيع، تاريخ علم النفس ومدارسه. دار المعرفة الجامعية، 2005. ص 241.

18 ــ جلال شمس الدين، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم النفس اللغوي. ص 31.

19 ــ المرجع نفسه. ص30 ــ31.

20 ــ حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم. ط:1. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1998. ص 143. .

21 ــ ينظر: جلال الدين شمس، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم اللغة النفسي. ص 441.

22 ــ ينظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور. الجزائر ــ ابن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية، 2002. ص 193. وينظر أيضا: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة نظم التحكم وقواعد البيانات. ط:1. عمان: دار الصفاء للنشر و التوزيع، 2002. ص 257.

23 ــ ينظر محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي. ص 166.

24 ــ حلمي خليل، دراسات في اللغة والمعاجم. ص 96.

25 ــ ينظر نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ص 166.

26 ــ محمد شحاته ربيع، تاريخ علم النفس ومدارسه. ص 361.

27 ــ جلال شمس الدين، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم النفس اللغوي، ص 243.

28 ــ ينظر: محمد شحاته ربيع، تاريخ علم النفس ومدارسه. ص 361.

29 ــ جلال شمس الدين، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم النفس اللغوي. ص 318.

30 ــ سالم شاكر، مدخل إلى علم الدلالة. ت: محمد يحياتين. الجزائر ــ ابن عكنون: ديوان المطبوعات الجامعية. ص 32 – 34.

31 ــ ينظر نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ص .166

32 ــ المرجع نفسه، ص 392.

33 ــ ينظر: جلال شمس الدين، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم النفس اللغوي. ص 393.

34 ــ نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ص 166.

35 ــ المرجع نفسه. ص25.

36 ــ المرجع نفسه.

37 ــ جلال الدين شمس، موسوعة مرجعية لمصطلحات علم اللغة النفسي. ص 441.

38 - ينظر حلمي خليل، دراسات في اللسانيات التطبيقية. ص 99.

39 ــ المرجع نفسه

40 ــ المرجع نفسه. ص 100- 101.

41 ــ المرجع نفسه.

42 ــ ينظر: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،2001. ص92.

43 ــ ينظر: داود عبده، محاضرات في علم اللغة النفسي. ط:1. الكويت:

المطبوعات الجامعية، 1984. ص 10. وأيضا نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومنهاج البحث اللغوي. ص 167 – 168. و ينظر: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث. ص 92.

44 ــ ينظر: فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، دراسة ونصوص. ط: 1. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1993. ص 111.

45 ــ المرجع نفسه. ص 91–92.

46 ــ ينظر:عبد الكريم مجاهد، علم اللسان العربي وفقه العربية. ص 91.

47 ــ ينظر: محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي. ص169.

48 ــ ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة.ص199

49 ــ المرجع نفسه. ص199

50ــ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث .ص92.

51 ــ المرجع نفسه. ص93.

52 ــ المرجع نفسه

53ــ ينظر:كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة. ص73.

54 ــ ينظر: ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللسان. ص310.

55 ــ محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث .ص92.

56 ــ ينظر: محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي.

57 ــ ينظر: حلمي خليل، مقدمة لدراسة فقه اللغة. ص194.

58 ــ عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة. ص199

59 ــ ينظر محمود سليمان ياقوت، منهج البحث اللغوي. ص 170 – 171.

60 ــ ميلكا افيتش، اتجاهات البحث اللساني. ص312.

61 ــ المرجع نفسه.

62 ــ ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي.بيروت: دار النهضة للطباعة و النشر، 2003. ص 277- 278.

63 ــ المرجع نفسه، ص 278.

64 ــ المرجع نفسه.

65 ــ جلال شمس الدين، علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه. الإسكندرية: المؤسسة الثقافية للنشر. ج1، ص 95. وينظر أيضا: كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في علم اللغة. ص 72. وينظر أيضا: مليكا ايفيتش، اتجاهات البحث اللساني. ص 132. و ينظر أيضا: محمد محمد داود، العربية وعلم اللغة الحديث. ص 92. ونور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ص 166.